توظيف البعد الحضاري والثقافي للشخصية الإيرانية وانعكاسه في الاتفاق النووي

أ. م. د. حيدر فرحان الصبيحاوي*
باحث وأكاديمي من العراق

* ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد

مقدمة

لم يكن موضوع الملف النووي الإيراني بالأمر السهل أو العابر، بل يمكن القول بأنه كان يشكل مسألة مركزية للسياسة الأمريكية من أجل السيطرة على منطقة الشرق الأوسط، بغية ضمان أمن إسرائيل وبقائها متفوقة عسكرياً على باقي دول المنطقة بما فيها إيران، ولا سيّما أن التصور الأمريكي للشرق الأوسط قد بدأت ملامحه واضحة في مؤتمر الدوحة عام1997، والذي قام على ثلاث ركائز أساسية ومتفاعلة هي «الأمن والاقتصاد والسياسة». إذ انتهجت أمريكا جملة من إجراءات ما يأتي:

1. فرض حصار على الدول المناوئة للسياسات الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً.
2. الحفاظ على تفوق إسرائيل العسكري والتقني، وهذا ما أكده نائب وزير الدفاع الأمريكي «سمث» بقوله: (إن نقل التكنولوجيا المتقدمة لا يزال عنصراً حيوياً في التزامنا باستمرار التفوق النوعي لإسرائيل من خلال برامج تعاونية مكثفة في مجال البحث والتطوير ومبيعات السلاح).
3. مساعدة حكومات الشرق الأوسط الحليفة لأمريكا لمواجهة التهديد المتنامي من احتمال سيطرة الإسلام السياسي[1].

(1) إبراهيم ورشيد، حيدر ماجد وتغريد عبد الزهرة، «التصور الأمريكي للشرق أوسطية 1890 ـ 1997» مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع47، بغداد، 2015، ع 47، ص 736.

أولاً: ثقافة المفاوض الإيراني وانعكاسه في الاتفاق النووي

من الأهداف الإستراتيجية التي حرصت الولايات المتحدة على بلوغها بعد سقوط النظام السابق في العراق عام 2003، هو تعزيز قوى الاعتدال ـ التي لها علاقات جيدة مع إسرائيل ـ ، لكبح جماح الراديكالية الإقليمية وإيقاف الأثر الإيراني، وهذا يتضمن إعادة تنشيط وإطلاق عملية السلام العربية

الإسرائيلية من جديد، كحجر زاوية للتحالف بين إسرائيل وشركائها في عملية السلام ضد إيران وتوابعها، وكذلك منع إيران من تطوير الأسئلة النووية[2].

(2) انديك وكوفهان، مارتن وتمارا، إعادة التوازن في الشرق الأوسط نحو إستراتيجية للارتباط البناء، ترجمة: باقر جواد كاظم كراسات إستراتيجية، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، ع 1، 2009، ص 12.

بإزاء هذا الواقع دخل المفاوض الإيراني الحلبة مع الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى، فضلاً عن وقوف دول عربية وإسلامية بالضد من إيران لا سيّما دول مجلس التعاون الخليجي فيما دفعت إسرائيل والسعودية بكل ثقلهما لإفشال المفاوضات حتى تتاح فرصة ضرب إيران عسكرياً، إلا أن القيادة الإيرانية والمفاوضين قد فهموا جيداً التوجهات وما يراد أن تكون عليه إيران، وهو ما يسر نجاح المفاوضات والاعتراف بحق إيران بامتلاك ناصية التكنولوجيا النووية لأغراض سلمية.

هذا النجاح توافرت له جملة من الأسس والعوامل التي اعتمدتها الشخصية الإيرانية المفاوضة، لتخرج متفوقة بعد مخاض عسير مع القوى الدولية في إيصال ملفها النووي إلى بر الأمان، وبعد نهاية المباحثات النووية الإيرانية الأخيرة مع الدول الست الكبرى في «لوزان» وإعلان التوصل إلى اتفاق نووي، لم ينتظر المجتمع الإيراني أن يسمع أو يشاهد أو يقرأ بنود الاتفاق النووي، بل تظاهر احتفالاً وفرحاً لكي يثبت للعالم أن الشعب الإيراني يقف خلف حكومة حققت له النجاح.

لم ينتظر المجتمع الإيراني أن يسمع أو يشاهد أو يقرأ بنود الاتفاق النووي، بل تظاهر احتفالاً وفرحاً لكي يثبت للعالم أن الشعب الإيراني يقف خلف حكومة حققت له النجاح

لقد استند المفاوض الإيراني إلى جوانب الضغط السياسي والعسكري والصناعي، واستندقبلها إلى تحفيز الذات الإيرانية حضارياً وثقافياً وعقائدياً وقومياً، متخذاً من الرمزية سلاحاً آخر بمواجهة الهيمنة الأمريكية،إذ إن الجمهورية الإسلامية أدركت بأن مفهوم القوة تجاوز في مضمونه الفكري، المعنى العسكري الشائع إلى مضمون حضاري أوسع ليشمل القوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... الخ، ولكن أيّ من مصادر القوة مهما تعددت لا يكتسب وزناً وأثراً بمجرد وجوده، وإنما يرتبط هذا الوزن والأثر بالقدرة على التدخل الواعي لتحويل مصادر القوة المتاحة إلى طاقة مؤثرة وسلاح فعال، والانصراف إلى إمكانية تحويل هذه المصادر إلى عنصر ضغط وتأثير في إرادات الآخرين[3].

(3) جواد كاظم، ما قبل الكارثة أزمة المنحدر المالي الأمريكي، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بغداد– بيروت، 2013، ص 152.

لعل ما سنذكره من ميزات الحضارة والثقافة والعقيدة... الخ ليست حكراً على الأمة الإيرانية. فهناك الكثير من الأمم تمتلك مزيات هذا الإرث، لكن

الفرق فيما سنبحث به أن الإيرانيين استثمروا هذا الإرث واستداموه، ولم يجعلوه محط مفاخرة في الاحتفالات الرسمية ومقالات رجال السلطة فحسب، كما هو الحال في بعض بلدان المنطقة، التي تمتلك إرثاً حضارياً عريقاً، وإنما تفاعلوا وتواصلوا معه، فكانت حلقات التحضر والثقافة والعقيدة سائرة في خطوات تاريخية، بحيث كل عهد يكمل العهد الذي سبقه وهنا يكمن سر النجاح.

تنحدر الأصول الإيرانية من الشعوب الآرية التي هاجرت إلى هذه المنطقة إبان العصور القديمة، ويرى البعض أن أصل كلمة «آريين» مشتق من الكلمة السنسكريتية san - skrit word القديمة، وهي تعني «النبيل»[4]، ويشكل الفرس جزءاً من الشعوب الآرية الذين كانوا يجيدون الفلك وعلوم السحر[5]، واستخدم تعبيراً «فارس» و«إيران» للإشارة إلى منطقة جغرافية واحدة، وتسمية إيران هي الأقدم، فقد وردت قديماً «إيريانا فيجا» أي موطن الآريين، ثم تطورت التسمية فصارت بلاد إيران[6]، أما تعبير فارس فأول من أطلقه هم الإغريق، واستمد هذا الاسم من إقليم «بارسا» Parsa في الجزء الجنوبي الغربي من الهضبة الإيرانية، وحرف هذا الاسم عند الإغريق ليصبح برسيسPerses ثم أطلق عليها العرب فارس، وعلى الرغم من أن «بارسا» تكون إقليماً واحداً في امبراطورية عظيمة، إلا أنها استمدت شهرتها لكونها مسقط رأس الملوك الهخشامنيين، الذين كونوا بيت الحاكم الفارسي، وأطلقت هذه التسمية بواسطة الإغريق على الإمبراطورية كلها بشكل عام[7].

يعزو سر نجاح الجنس الآري في تكوين حضارة عريقة إلى عاملين هما: تدجين الحصان في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، وابتكار العربة الحربية مما أعطاهم سلاحاً فعالاً ضمن لهم التفوق والانتصار. وبدأ يكتسب هذا المصطلح «آري» منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي مدلولاً عرقياً وسياسياً، يعزى بموجبه إلى الشعوب الآرية وحدها الفضل في ابتكار المنجزات الحضارية قديماً وحديثاً، فقد ألف الكونت دي غوبينو الفرنسي De Gobineau مقالة حول عدم تساوي الأعراق البشرية، ذهب فيه إلى أن الجنس الآري أسمى فروع العرق الأبيض[8]، ولعل السر الذي دفع الشاه رضا بهلوي مؤسس الأسرة البهلوية عام 1935، إلى تغيير اسم مملكته من بلاد فارس وهو الاسم القديم إلى إيران[9]، لاعتزازه بالجذور العرقية التي ينتمي لها الشعب الإيراني وللتفاخر بين الأمم بأنه من العرق الآري.

(4) Hendrik Van Loon, The Story of Mankind Book Prodction war Economy Standard, London, 1954, p 44.

(5) حامد إسماعيل، الملك كورش وتأسيس الإمبراطورية الأخمينية الفارسية، ط1، مصر، 2011، ص 17.

(6) Herzeld,E,Iran In Ancient East.Oxford,1944,p.192

(7) أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم "مصر، العراق، إيران»، بيروت، 1989، ص 345.

(8) عبد الرزاق السنهوري، حقيقة الجنس الآري نقلاً عن الشبكة الوطنية الكويتية www.nationalkuwait.com.

(9) John A. Tata, Iran (Persia), Newyork, 1975, p32.

العرق النبيل له تأريخ طويل وحضارة عميقة، ولا يمكن لأحد أن ينكر أن الأمة الإيرانية أمة عريقة أسهمت في تقدم العالم كله، وشاركت في بناء صرح الحضارة مع غيرها من الحضارات الأخرى، لتشكل في النهاية هذا العالم المتحضر الذي نعيشه اليوم[10]، إذ تؤكد الأساطير الإيرانية أن السلالة البشدادية كانت أولى السلالات الحاكمة بمؤسسها كيومرت، الذي يعده الزرادشتيون شخص آدم أبي البشر[11] ويتضح من الشواهد الدالّة على وجود الإنسان في الهضبة الإيرانية، أن ظهورها على الساحة الحضارية منذ فترات ما قبل التأريخ بحوالي مئة ألف سنة قبل الميلاد[12]، وأسس الشعب الإيراني العديد من الإمبراطوريات والممالك ذاعت شهرتها في العالم القديم مثل الميديين والفرس والبارثيينوالباكتريين والسيديين والعيلاميين[13].

وعندما اعتنقوا الإسلام قاموا بدور نشط وفعال في دعم الحضارة الإسلامية وتوطيد أركانها، وساهم علماؤها بجهود عظيمة في تمكين هذه الحضارة وانتشارها في ربوع العالم الإسلامي[14].

لقد كان للعرب الفضل في انتشار الإسلام وقيام الإمبراطورية الإسلامية، فليست الحال كذلك تماماً في ميدان الفنون، إذ من الإنصاف أن نسلم بأن العرب لم تكن لهم قبل الإسلام أساليب فنية ناضجة، إلا في أطراف شبه الجزيرة، حيث قامت الممالك والأمارات التي اتصلت بالأمم الأجنبية وتأثرت بأساليبها الفنية تأثراً كبيراً، فقام الفن الإسلامي على أسس من الفنون الأجنبية وخاصة الإيرانية القديمة في بلاد الجزيرة وهضبة إيران[15]، وهذا ليس انتقاصاً من شأن العرب الذين تميزوا بالشعر والخطابة والأدب، ولكن سنة الفنون واحدة كل منها يأخذ من الفنون التي سبقته.

لم تنقطع الروابط الحضارية الإيرانية بظهور الإسلام، بل على العكس تواصلت ابتكاراتهم المعمارية والفنية والإدارية والتنظيمية، بعد تخليص إرثهم الحضاري من الرواسب الوثنية لتنصهر في بودقة الإسلام الحنيف، ولعل العامل الرئيس للتواصل الحضاري في إيران، أن الحضارات الكبيرة التي ظهرت في بلادهم وجدت في أماكن كانت فيها الطبيعة تدفع الإنسان للكفاح، فالأخماشيون أسسوا حضارتهم في القسم المركزي من إيران،والبارتيون أسسوا حضارتهم في الشمال الشرقي والساسانيون في حوض فارس، وهو المكان الذي ينمو فيه الفكر الإنساني عن طريق الصراع مع الطبيعة، وتبرز فيه المبادرة والاختراع والفكر والتجربة الخاصة

(10) حسن بيرينا، تاريخ إيران من البداية حتى العهد الساساني، ترجمة: محمد نور الدين والسباعي محمد السباعي، القاهرة، 2014، ص 6.

(11) حسن الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، بغداد، 2003، ج 1، ص 15.

(12) أمين شحاتة، إيران المسار التاريخي نقلاً عن www.aljazeera.nat.

(13) إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج1، الرياض، 1984، ص171

(14) بيرينا، المصدر السابق، ص 7.

(15) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، القاهرة، 1948، ص 2.

بالعلاقات الاجتماعية والتنظيمات الإدارية والعمل الاختصاصي والفني، فالصراع مع الطبيعة يشكل العامل الفاصل لحركة التاريخ[16].

هذه الاستمرارية وحركة الحضارة والتأريخ لازالت مستمرة إلى الآن ضمن سلسلة التواصل الحضاري عبر التأريخ، واليوم تشهد الجمهورية الإسلامية نهضة حضارية على الأصعدة الصناعية والعمرانية والعلمية والإدارية والسياسية والاقتصادية كافة، ولم تعتمد على استيراد أسس التطور من الغرب ـ قدر المستطاع ـ وهذا سر نجاح آخر للمفاوض الإيراني،الذي لم يرضخ لشدة الضغوط الكبيرة لكونه اعتمد على حضارته المستمرة، ولعل الإيرانيين في العصر الحالي استنسخوا تجربة عصر النهضة الأوربية في القرن التاسع عشر الميلادي، التي اعتمدت في نهضتها على عاملين أساسيين هما: تحفيز الذات بالعودة إلى حضاراتهم الرومانية والإغريقية، وشحذ الهمم واعتماد الابتكارات الصناعية الحديثة، التي جعلت منهم أمماً متحضرة ومتطورة، وهنا لعب المحفز الحضاري والتاريخي دوراً كبيراً في إعطاء القوة المطلوبة للمفاوض الإيراني وتحقيق نجاح واضح فيها، ولم يجعل من حضارته متكأً للمفاخرة دون التواصل معها.

ورث المفاوض الإيراني تجارب أسلافه في السياسة والحكم[17]، فكان الحكام الفرس يمتلكون حسن التدبير في السياسة وإقامة الممالك، ولعلنا نستشهد هنا بوصية للملك أردشير[18] يوصي بها ابنه فيقول: «يا بني إن الملك والعدل إخوان لا غنى بأحدهما عن صاحبه، فالملك أسٌّ والعدل حارسٌ، وما لم يكن أسٌّ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع، يا بني أجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وسرك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول»[19].

وكذلكهم ورثوا حسن اختيار الشخصيات لإدارة دولتهم، ونستنتج هذا الرأي من وصية أبرويز إلى ابنه شيرويه، في كيفية اختيار عماله ـ أي قادته ـ إذ يقول: «ولا تجعله امرأً أصبته بعقوبة فاتضع عنها، ولا امرأ أطاعك بعدما أذللته، ولا أحداً ممن يقع في خلدك أن إزالة سلطانك أحب له من ثبوته، وإياك أن تستعمل غمرا كثُر إعجابه بنفسه وقلّت تجاربه في غيره. . .»[20].

ومن تدابيرهم الأخرى في الحكم والسياسة، تميزهم في كتم الأسرار فكان ملوك فارس يوصوا: «صونوا أسراركم، فإنه لا سرَّ لكم إلا في ثلاثة

(16) علي شريعتي، علم معرفة الإسلام، ترجمة: ع. هـ. الأميني، ج1 و2، بغداد، 2004، ص 245.

(17) معروف، ناجي، اصالة الحضارة العربية، ط 2، بغداد، 1969، ص 409.

(18) أردشير: هو أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك بن زرار بن بهافريذ بن ساسان الأكبر بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط1، بيروت، 2008، ج2، ص 25. وحكم بين سنتي (241– 273) وحارب الرومان ففتح مدينة نصيبين وأخضع انطاكية وأسر الإمبراطور، علي الشرقي، موسوعة الشيخ علي الشرقي النثرية، جمع وتحقيق: موسى الكرباسي، ج1، بغداد، 1988، ص 186.

(19) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط3، بيروت، 2006، ج 1، ص 23.

(20) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، مج 1، القاهرة، 1963، ص 15.

مواضع: مكيدة تُحاول أو منزلة تُزاول أو سريرة مدخولة، تكتم ولا حاجة بأحد منكم في ظهور شيء منها عنه»، وكان يقال: «ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك»[21]، حتى إن أحد المستشارين الفرس أعاب على أحد ملوكهم استشارة وزير له علناً أمام الآخرين، فقال له: «لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحداً إلا خالياً به، فأنه أموت للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين، وإفشائه إلى ثلاث كإفشاء إلى العامة...»[22].

هذه الصفات التي اتصف بها الفرد الإيراني، جعلت لهم أثراً فاعلاً في إدارة الدولة في ظل الإسلام، بل كانت لهم أدوار قيادية في السياسة والحكم كمستشارين ووزراء على تعاقب العهود الإسلامية.

يبدو أن المفاوض الإيراني الحالي قد استثمر إرث الحكمة السياسية، في تعامله مع مفاوضات الملف النووي بقوة، في مقابل الضعف الذي ينتاب الولايات المتحدة حينها، والذي حقق لإيران الكثير من الإنجازات عن طريق الدفع بهذا الخصم إلى محطات من التنازل[23].

ثانياً: أثر الدين في الشخصية الإيرانية

كان للدين أثر واضح في شخصية الفرد الإيراني سواء الديانات الوثنية أو بعد دخولهم الدين الإسلامي، إذ حكم الدين على المجتمع الإيراني[24] وتمتع بالطاعة، فالدين كان ولايزال يقود الأمة الإيرانية مما يدفعهم للإخلاص والتفاني بواجباتهم، ووفّر لهم الدين القوة التي قادتهم عبر التاريخ لتحقيق إنجازات حضارية، فكان الملك كورش الأخميني الذي اعتنق الديانة الزرادشتية[25] الوثنية، والذي حقق نجاحات كبيرة وأسس امبراطورية واسعة، قد نال مكانة خاصة في وجدان الشعب الإيراني وحتى اليهودي، لم يبلغها أي ملك آخر من غير اليهود، حتى نعتوه بالمخلص أو المنتظر، وهو ما تشهد به الوثائق التاريخية الفارسية التي تؤرخ لعصر ذلك الملك، وتصوره يتعبد للآلهة الوثنية مثل «بعل ومردوخ ونبو... وغيرهم، فقد حقق مكانته كملك متدين دان له الشعب الفارسي بالولاء المطلق[26]، ثم اعتنقوا الديانة المانوية[27] والتي جاءت بتعاليم تستحق الثناء ومنها: «ترك الشهوة والحرص وترك شرب الخمر والزنا وترك السرقة وترك أذية الماء والنار والشجر والنبات»[28]، وكانت أبرز مبادئ هذا الدين هو طاعة إمامهم، وكان أئمتهم

(21) المصدر السابق نفسه، ص 40.

(22) المصدر السابق نفسه، ص 27.

(23) محمد صادق الحسيني، «ملامح الحوار الأمريكي ـ الإيراني ومساراته على مكانة إيران المستقبلية»، مجلة حمورابي للدراسات، بيروت، 2013، ع 8، ص 22.

(24) علي شريعتي، دين ضد دين، مركز الدراسات التاريخية والاجتماعية لندن، ط 1، بيروت، 2014، ص 28.

(25) الزرادشتية: مؤسسها زرادشت الذي يعرف بحكيم فارس، ولد حوالي (628 ق. م)، كان أبوه يدعى بورشاسب وأمه أسمها دغدوفا، ترجع الروايات الفارسية نسب زرادشت إلى جيومرت الذي تجعله الميثولوجيا الفارسية نبي الله آدم عليه السلام، ويقال إن جيومرت هو الجد الخامس والأربعون لزرادشت وكان زرادشت أوسط إخوته الخمسة. وقد وصلت تعاليم زرادشت في سبعة عشر ترنيمة يطلق عليها «الجاثا» والتي تعني الإنشاد والغناء، وهذه الترانيم أهم أجزاء كتاب الزرادشتية، وقد دون زرادشت هذا الكتاب هذا الكتاب ليكون مرجعاً لأتباعه من بعده.
ـ نبيل أنسى، المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية، مكتبة النافذة، 2007، ص 4.

(26) حامد إسماعيل، الملك كورش وتأسيس الإمبراطورية الأخمينية الفارسية، مصدر سابق، ص 94.

(27) المانوية: مؤسسها ماني بن فتق بن بابك بن أبي برزام، من الحسكانية، وأسم امه ميس، ويقال أوتاخيم، ويقال مرمريم من ولد الأشغانية. وقيل إن ماني كان أسقف من أهل جوخى مما يلي بادرياوباكسيا.
ـ أبن النديم، محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، ضبط وشرح: يوسف علي الطويل، ط 2، بيروت، 2002، ص 509.

(28) أبن النديم، الفهرست، ص 515.

يتناولون الدين واحداً عن واحد لا اختلاف بينهم مدة طويلة من الزمن[29]. وكذا الحال في العهد الساساني في أثناء حكم الملك أردشير والذي كان يعتنق ديناً وكسب ولاء الشعب الإيراني عن طريق الدين لا الحكم، فقد كان يعتقد أن الملك والدين إخوان توأمان لا يستقيم أحدهما إلا بصاحبه، لأن الملك الذي لا دين له غير قابل للاحترام[30].

وكذلك كان الفرد الإيراني متديناً أيضاً عندما اعتنق الإسلام، وقد روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (أبعد الناس إلى الإسلام الروم ولو كان الإسلام معلقاً بالثريا لتناولته فارس)[31]، وكان منهم سلمان المحمدي ـ رضي الله عنه ـ الذي قال في حقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) «من أراد أن ينظر إلى رجل نوّر الله قلبه فلينظر إلى سلمان»[32]، وغيرها من الأحاديث التي لم يحصل عليها إلا بتفانيه من أجل عقيدته حتى سُمِّي سلمان المحمدي.

ولعله يطول بنا المقام إذا ما تذاكرنا تلك الشخصيات الإيرانية التي كان لها أثر واضح في الذود عن الإسلام، وتمييع قوميته لينصهر في بودقة أسمى وهي الإسلام، ومع ذلك يمكننا أن نعرِّج ولو قليلاً على تلاحم الأمة الإيرانية مع الإمام الراحل آية الله العظمى السيد الخميني قائد الثورة الإسلامية، التي أطاحت بإمبراطورية بهلوي في بلد كانت الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية، تعدانه قاعدة لهما ومركزاً حساساً من مراكزهما الحيوية في العالم[33]، فقد كان التلاحم الأسطوري حاضراً بين الإمام وبين الشعب، برغم أنه لم يكن بينهم، بل كان خارج بلاده بسبب نفي الحكومة له. والأمر نفسه ينسحب على قائد الثورة الإسلامية الإمام علي الخامنئي، والذي نقل إيران من دولة نامية إلى دولة متطلعة بقوة لصعود الاعلوية بالتقدم في مجالات عدة منها، (النانوتكنولوجي)، الإمساك بتلافيف التكنولوجيا النووية، ودورة الوقود النووي، تكنولوجيا الصواريخ والفضاء... الخ.

ولعلي في هذه الجزئية أوافقرأي الدكتور علي شريعتي الذي يقول» حكم الدين على المجتمع الإيراني»، فرغم اختلاف العقائد بين الأديان الوثنية السابقة للإسلام والدين الإسلامي الحنيف، نرى أن الفرد الإيراني يؤمن إيماناً مطلقاً بولاية علماء أو رجال الدين، ويعدهم المخلصين له في الشدائد

(29) المصدر السابق، ص 516.

(30) كريستنسن، آرثر، إيران در زمان ساسانيان "إيران في العهد الساساني»، ترجمة: رشيد ياسمي، طهران، 1345، ص 85.

(31) ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي،ج 4، بيروت، 1996، ص 408.

(32) عبد الواحد مظفر، سلمان المحمدي أبو عبد الله الفارسي، ط1، بغداد، 2012، ص 49.

(33) محمد رضا، الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، قم المطهرة، د. ت، ص 247.

والأزمات، وهكذا كان مكافحاً مع ملوكهم مثل كورش وأردشيروالزادشتية، وكذلك كان مكافحاً ومتماسكاً مع أئمتهم في الدين الإسلامي الحنيف، تحت عنوان ولاية الفقيه كالإمام الخميني والإمام علي خامنئي،اللذين كانا قائدين وإمامين يقودان الأمة الإيرانية الإسلامية، كأولياء لأمور المسلمين أو سلطة «الولي الفقيه»، التي تشكل سلطة رابعة في النظام السياسي الإسلامي إلى جانب السلطات التقليدية الثلاث، وهو ما لا نجد له مثيلاً في الأنظمة السياسية الأخرى، ويكون دور الولي الفقيه هو دور التنظير والإشراف على تطبيق نظرية الحكم، وأن يبدي رأيه بجميع الأعمال التي تتعلق بتطبيقها، وكذلك مراقبة سلوك الحكومة وتصرفاتها، فيصحح مسيرتها إذا انحرفت ويعدل سلوكها إذا شذت، وعندئذ تكون ولاية الفقيه ضمانة لاستقامة الأمة[34]، والتي مثّلت مفردة من مفردات المواطنة،إذاشترط المفكرون المسلمون الولاء للدولة الإسلامية كمبدأ للمواطنة، ويقول بعض الباحثين إن مبدأ الولاء والتابعية للنظام السياسي الإسلامي، تعد شرطاً أساسياً لاعتبار الفرد عضواً في الجماعة السياسية الإسلامية[35].

إن مبدأ الولاء والتابعية للنظام السياسي الإسلامي، تعد شرطاً أساسياً لاعتبار الفرد عضواً في الجماعة السياسية الإسلامية

وختاماً، لقد تلاحقت تلك العناصر «العرق ـ الحضارة ـ الثقافة ـ العقيدة»، لتولد عنصر المواطنة الذي كان سرّ النجاح لدى المفاوض الإيراني وعند المواطن الإيراني أيضاً، ومما هو معروف بين المختصين بأن المواطنة مفهوم حديث ترتكز عليه جملة من الأبعاد السياسية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية والثقافية، والتي تعاطى معها الفكر الإسلامي بما يمتلكه من ذخيرة فكرية ومنظومة عقائدية، واعتبره من شواغل الفكر السياسي لبناء دولة عصرية ومتقدمة، تبنى على حقوق الإنسان وواجبات المواطنة[36]، فكان الرجوع إلى الذات الإيرانية خير سلاح لمقاومة الدول العظمى والحصول على مكاسب كبيرة، لعلأهمها ما تمخض عنه الاتفاق النووي من حق إيران امتلاكه وإعادة الأموال المجمدة، وهو ما يعد نصراً كبيراً وتثبيتاً لحقوق الشعوب والدول، ومخرجاً جاهد من أجله الإيرانيون مدة سبعة عشر عاماً، وهو ما يمثل نجاحاً للنظام السياسي عندما مازج ما بين الحق القومي والمقدس الديني والبعد الحضاري، في ظل رؤية عقلانية وبراغماتية للحوار والمفاوضات[37].

(34) رحيم حسين، نظرية الحكم عند الشيعة الأمامية «دراسة دستورية»، بغداد، 2005، ص 148.

(35) جواد كاظم البكري، المواطنة: الحقوق والواجبات من منظور إسلامي، المواطنة والهوية العراقية عصف احتلال ومسارات تحكم، المؤتمر الثالث لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بغداد، ط1، بيروت، 2011، ص 139.

(36) المصدر السابق، ص 131.

(37) الحسيني، ملامح الحوار الأمريكي، ص 22.